وربما اتخذوا الكؤوس من فضة قال لبيد

فدعدعا سرّ الركاء كما دعدع ساقي الاعاجم الغربا[٨]

وهذا شاهد استعمالها عند الاعاجم واما استعمالها عند العرب فدليله قول النابغة

وتسقى اذا ما شئت غير مصرّد بزوراء في حافاتها المسك كانع[٩]

وقد اتخذوا القصاع من شجر الخلنج قال عبد الله بن قيس الرقيات

ان يعش مصعب فانّا بخير قد اتانا من عيشنا ما نرجي

يهب الالف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج[١٠]

امين ظاهر خير الله

رجال المال والاعمال

لورد اڤبا

جاء في الانباء البرقية منذ ايام ان لورد اڤبا الارلندي تبرّع بخمسين الف جنيه اعطاها الملك الانكليز تذكارًا لزيارته مدينة دبلن لكي يوزعها على المستشفيات في ارلندا سواء كانت للبروتستانت او للكاثوليك وعلى مستشفى السل في نيوكسل . وقد ذكرنا منذ بضع سنوات ان هذا المحسن تبرّع بمئتين وخمسين الف جنيه دفعةً واحدة لتوسيع نطاق علم اصبح من انفع العلوم لنوع الانسان والحيوان وهو علم البكتيريولوجيا اي العلم الذي يبحث عن الميكروبات والامراض الناشئة عنها وكيفيّة معالجتها . وقلنا هناك انهُ رجل كريم وهب هبات اخرى قبل الآن لهذا الغرض ثم رأى البلاد الانكليزية محتاجة الى دار كبيرة مثل دار باستور يبحث فيها العلماء عن طبائع الميكروبات فوهبها هذا المال الطائل (انظر باب الاخبار العلميّة في مقتطف فبراير سنة ١٨٩٩)

وها نحن موردون الآن طرفًا من ترجمته ووصف العمل الذي جمع منهُ ثروتهُ

من عادة الانكليز انهم اذا أُعطوا لقب الاعيان اضطروا الى ترك اسم عائلتهم والتسمي باسم آخر اذا سبقهم احد من عائلتهم الى رتبة الاعيان وابقى اسم العائلة لنفسهِ كما ترى في

---

(٨) دعدع ملأ . والركاء اسم موضع . والغرب جام فضة

(٩) المصرّد شرب دون الري . والزوراء مشربة من فضة مستطيلة مثلثة القاعدة والقدح كذا جاء في لسان العرب . وقال شارح ديوان النابغة زوراء دار بالحيرة للنعمان هدمها جعفر وصروهم . وكانع لاعق

(١٠) البخت جمال طوال الاعناق . والخلنج شجر . فارسي معرب تتخذ من خشبة الاواني

تلقيب السر افتن بارنج بلقب لورد كرومر حينما نال لقب لورد لان واحداً من عائلته سبقهُ الى رتبة اللوردية ولقب نفسهُ لورد بارنج . اما اذا كان هو اول من نال رتبة الاعيان في اسرته فالغالب ان اسمها يبقى لهُ كما ترى في لورد كتشنر ولورد ملنر . ولورد إڤيا من عائلة غوينس وهي عائلة ارلندية خطت اول خطوة في سبيل الثروة على عهد جدها ارثر غوينس وكان خمّاراً يصنع البيرة السمراء فانهُ ابتاع خمارة كبيرة في مدينة دبلن وجرى في عمل البيرة فيها على احدث الاساليب المعروفة حينئذٍ . والبيرة شراب يستحلهُ الاورپيون حتى الذين يحرّمون شرب الخمر منهم ويشربهُ رجالهم ونساؤهم واولادهم على حدٍّ سواء ولذلك لا يعدُّ عملهُ وبيعهُ من المحرمات بل من اساليب الصناعة والتجارة المحللة التي يقبل عليها الناس من كل الطبقات

واحبَّ ارثر غوينس مدينة دبلن واهتم بما يرقيها لانهُ افلح فيها فاكرمهُ اهلها وعدُّوهُ من الوجهاء بينهم . ولما شبَّ اولادهُ اشركهم معهُ في عملهِ

والولد الثالث من اولادهِ واسمهُ بنيامين ولد سنة ١٧٩٨ ولما شبَّ ابدى من الهمة في ادارة الاعمال ما جعل اباهُ يعتمد عليهِ ويسلم ادارة معملهِ اليهِ فنظمهُ ووسعهُ حتى ابلغهُ حدّاً يفوق كل ما قدَّرهُ لهُ ابوهُ . وهو اول من اهتمَّ باصدار البيرة الارلندية الى مدن انكلترا وسكتلندا واضطرَّ ان يغير انواعها لكي توافق اذواق الناس الذين ارسلها اليهم فعمَّت مصنوعاتهُ البلاد الانكليزية كلها وانتشرت في اوربا وفي اميركا ايضاً لان شاربي البيرة وجدوا فيها شراباً سائغاً لم يذوقوا اطيب منهُ قبلاً فكثر الطلب عليها حتى فاق ما كان ينتظرهُ لكنهُ كان الرجل الذي اذا عرضت لهُ المصاعب قابلها بالحزم واذا دعت اعمالهُ التوسُّع لم يرضَ لها بالضيق فاخذ من ساعتهِ يوسع معملهُ حتى ابلغهُ حدّاً يفوق التصديق ووضع فيهِ مراجل كبيرة جداً وآنية لم يرَ مثلها صنَّاع البيرة في بلد من البلدان لكبر حجمها حتى صار معملهُ اكبر معمل من معامل البيرة في المسكونة ولا يستطيع المرء ان يسير فيهِ من طرف الى طرف الاَّ بسكة حديدية تجرها آلة بخارية . وبقي من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٦٠ يدير هذا المعمل بهمة لا تعرف الملل يوماً بعد يوم من الصباح الى المساء . يراقب كل فرع من فروعهِ ويرشد العمَّال في اعمالهم ويختار الاكفاء منهم ويعتمد عليهم في ادارة الفروع المختلفة كل ذلك ورائدهُ اللطف والدعة مع العمال حتى كانوا كلهم يعدُّون انفسهم من اصدقائهِ لا من صناعهِ

فجمع ثروة طائلة وكان كثير المبرَّات ينفق على مدينة دبلن وفقرائها بسخاء حاتمي فعدَّهُ اهاليها اعظم رجل بينهم يلقون بهِ الملمات ويقابلون نوائب الدهر ومنحوهُ كل القاب الشرف التي في طاقتهم منحها

ومن اعمالهِ الخيرية الكبيرة انهُ جدَّد بناء كنيستهم الكبرى سنت باترك وانفق على تجديدها ١٦٠٠٠٠ (مئة وستين الف جنيه) واستخدم لهُ امهر مهندسي العصر وامهر بنَّائيهِ ولما تمَّ تجديدها انتُخب عضوًا في البارلمنت الانكليزي عن مدينة دبلن وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٦٨ وبلغت تركتهُ الخصوصية حينما توفي مليونًا ومئة الف جنيه وبقي معملهُ يزيد اتساعًا واتقانًا بعد وفاتهِ وكان لهُ ولدان شاركاهُ في ادارتهِ وهما ارثرغرينس وادورد غرينس وجريا على خطتهِ بعد وفاتهِ ومنح اولهما لقب لورد اردیلون والثاني لقب لورد إڤيا . اما الاول فباع نصيبهُ لاخيهِ بمليون جنيه وتخلى عن العمل وبقي اخوهُ فيهِ وكانت ولادتهُ (وهو لورد اڤيا) سنة ١٨٤٧ ودرس في مدرسة دبلن الكلية ونال منها لقب دكتور في الشريعة المدنية واستقلَّ بعمل البيرة سنة ١٨٨٠ لما ابتاع نصيب اخيهِ وادارهُ بهمة ونشاط ثم باعهُ الى شركة ساهمة سنة ١٨٨٦ بستة ملايين من الجنيهات واكثر اسهمها لهُ وكان ثمن السهم الاساسي عشرة جنيهات فبلغ منذ سنتين ٥٥ جنيهًا

وحذا حذوايهِ واخيهِ في الانفاق على الاعمال الخيرية وانفق اكثر من مليون جنيه على بناء البيوت الصحية لفقراء مدينة لندن ومدينة دبلن فافاد الفقراء فوائد لا تقدَّر ولا يزال يزيد كرمًا وهو يزيد غنى ولا عجب اذا ارتقت بلاد يكون فيها كثيرون من امثالهِ

لورد هندلب

البيرة شراب منعش يُصنَع من الشعير المختمر ويصح ان يطلق عليها اسم الجعة لانها كانت معروفة عند العرب بل عند المصريين القدماء لكن الاوربيين خصوها بالشراب الذي يعالج بحشيشة الدينار ولا دليل على ان هذه الحشيشة كانت تستعمل في استخراج الجعة فابقينا كلمة بيرة على حالها امثلاً تفوت هذه الدلالة وتلتبس البيرة بشراب آخر يستخرج من الشعير ولا يعالج بحشيشة الدينار

ذكرنا في الفصل السابق سيرة بيت غرينس الذين اثروا من عمل البيرة وصاروا من اشراف الانكليز . ولكن مقطوعية البيرة كبيرة جدًّا فقد كان لها في البلاد الانكليزية ٧٢٨٨ معملاً سنة ١٨٩٨ وبلغ دخلها السنوي حينئذٍ ١٢١٤٠٥٢٢ اي اكثر من اثني عشر مليون جنيه ودخل معمل بيت غرينس وحدهُ ٦٥٢٦٢٨ جنيهًا اي نحو خمسة في المئة من دخل المعامل كلها فلا بدَّ من وجود معامل اخرى كبيرة لعمل البيرة

ومن اصحاب هذه المعامل بيت السوب ومعملهم قديم جدًّا اخذوهُ من بيت ولسن وهؤلاء من بيت برتن ويمتدُّ تاريخهُ الى قبل ايام الملكة اليصابات وآل الى بيت السوب سنة ١٨١٢

وكان اسم مديره حينئذٍ صموئيل السوب وكان كبير الهمّة فوسّع المعمل ووفّر ارباحهُ وانتقل منهُ الى ابنهِ هنري السوب الذي صار لورد هندلب الاول وهو الذي وسع المعمل وجعلهُ من اكبر المعامل واوفرها ربحًا وجاء ابنهُ بعدهُ فورث منهُ قوّة العقل وقوّة الارادة . ولما آل المعمل الى صموئيل السوب حوّلهُ الى شركة مساهمة وكان دخلهُ السنوي قد بلغ ٢٣٠ الف جنيه وكانت مبانيهِ تشغل اكثر من ٤٠ فدانًا والى جانبهِ ارض مساحتها ١٤٠ فدانًا لكي يملأها اذا دعت الضرورة . ولم يمضِ الاَّ زمن يسير بعد ان تحوّل الى شركة مساهمة حتى صار دخلهُ السنوي ٤٨٦ الف جنيه

ولم يعش لورد هندلب طويلاً بل توفي سنة ١٨٨٧ وكان كريمًا ولاسيما على العمّال الذين يعملون في معملهِ ولورد هندلب الحالي شاب ولد سنة ١٨٧٧ وانتظم في الجيش وحارب في الترنسفال

لورد برتن

ومن اكبر عمّال البيرة في البلاد الانكليزية لورد برتن وكان جدُّهُ صانعًا فقيرًا اسمهُ وليم باس ينقل البيرة من مكان الى آخر ليبيعها فخطر لهُ ان يصنعها هو ويبيعها وكان ذلك سنة ١٧٧٧ فصنع معملاً صغيرًا لعملها ورثهُ منهُ ابنهُ واسمهُ ميخائيل باس ووسعهُ واستعان برجلين من الاكفاء فاشركهم معهُ فاشتركا في ربحهِ ومات اولهما وخلّف اكثر من مليون جنيه ومات الثاني تاركًا نحو ثلاثة ملايين جنيه ولا يزال اولادهما مشتركين في هذا المعمل

وكان ميخائيل باس يصدر اكثر البيرة التي يصنعها الى بلاد روسيا وبلغهُ ذات يوم ان حكومة الروس فرضت مكسًا ثقيلاً على البيرة الاجنبيَّة فلم يعد في امكانهِ ان يصدر بيرتهُ اليها ولم يبقَ امامهُ الاَّ الاسواق الانكليزية فاضطرَّ ان يصلح بيرتهُ حتى توافق ذوق الانكليز وكان ذلك سبب نجاحهِ وثروتهِ ولو بقي يصدر البيرة الى بلاد الروس كما كان يفعل اولاً لبقيت بيرتهُ من النوع الرخيص الثمن القليل الرواج القليل الربح لكنهُ استفاد من هذا النائبة كما يستفيد كل ارباب الهمم من نوائب الدهر

واختلف تجار البيرة الذين يأخذونها الى بلاد الهند مع صاحب المعمل الذي يصنعها لهم فعرضوا بيرتهُ على المستر باس وسألوهُ عما اذا امكنهُ ان يصنع لهم بيرة مثلها فاخذها وحللها حتى عرف اساليب عملها وعمل بيرة مرة مثلها او اجود منها وارسلها الى بلاد الهند فراجت فيها رواجًا عظيمًا ويبلغ ثمن البيرة التي يصنعها معمل باس الآن خمسة ملايين جنيه كل سنة وجانب كبير من هذا الثمن ربح صافٍ لاصحاب هذا المعمل

ورقي ميخائيل باس الى رتبة الاشراف سنة ١٨٨٦ باسم لورد برتن